

علام يقتل أحدكم أخاه ؟

داء الأمم

ذم الحسد والحاسدين

بقلم
محمد موسى نصر

دار الصديق للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

داء الأمم

ذم الحسد والحاسدين

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار الصديق للنشر والتوزيع

السعودية / الجبيل

ص.ب ٥٧٣ - الرمز البريدي ٣١٩٥١

هاتف ٣٦٢٦٢٩٣

علام يقتل أحدكم أخاه ؟

داءُ الأُمَم

ذمُّ الحسد والحاسدين

بقلم

محمّد موسى نصر

دار الصدّيق للنّشر والتّوزيع

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

داء الأمم

عن الزبير بن العوام رضيَ اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ : « دبَّ إليكم داء الأُمم قبلكم : الحسد والبغضاء، هي الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر، والذي نفسُ محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أُنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم » أخرجه أحمد، والترمذي .

والضياء كما في « صحيح الجامع » (٣٣٦١)، و « مشكلة الفقر » (٢٠)، و « إرواء الغليل » (٧٧٧) لحافظ الوقت وإمام محدثي العصر شيخنا محمد ناصرالدين الألباني حفظه اللَّه تعالى .

ابتهال

اللهم أنتَ حسيب من توكل عليك، وكافي من لجأ إليك، ومؤمن خوف الخائفين، ومُجيرُ كل مستجير بك، تولاني بحفظك، واكلأني برعايتك وعنايتك واحفظني من كل شر أنت تعلمه وكُن لي ناصراً ومؤيداً، فأنت حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولى، ونعم النصير، ولا حول ولا قوَّة إلّا بك .

وفي « الموطأ » عن كعب الأحبار قال : كلمات احفظهن من التوراة لولاها لجعلتني يهود حماراً :

« أعوذ بوجه اللَّه العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلمات اللَّه التّامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبأسماء اللَّه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، من شر ما خلقَ وذرأ وبرأ »[1] .

---

(١) « التفسير القيم » (ص: ٥٨١) .

قلت : يريد كعب الأحبار، والله أعلم أن اليهود قوم بهت شاع فيهم السحر والحسد فاستعان واستعاذ بهذه الرقية الشرعية ليتقي بها شرورهم .

□ □ □ □ □

مقدمة

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمدُهُ، ونَستعينُهُ، ونَستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِ اللَّه فَلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فَلا هاديَ لهُ .

وأشهَدُ أن لا إلهَ إلاّ اللَّه وحدَهُ لا شريك له .

وأشهَدُ أنَّ محمَّداً عَبده ورسوله .

أمَّا بعد :

فإن الحسد داء قديم من أدواء الأُمم والشعوب، ما دخل قلب رجل إلاّ أفسدهُ، يحمل صاحبه على كل خلق مشين.

فهل أخرج إبليس من الجنة، وحق عليه اللعنة إلاّ بالحسد !

وهل قتل قابيل أخاه هابيل إلاّ بدوافع الحسد !

وما تآمر أُخوة يوسف على أخيهم والقائه في غيابتِ الجب مع ما أصابه من المهانة إلاّ من شؤم الحسد !

وهل أعرض أكثر صناديد الكفر عن أتباع الأنبياء والرسل إلّا حسداً من عند أنفسهم أن يكونوا هم المتبوعين لا التَّابعين! ﴿ قالوا أَنُؤمِنُ لكَ واتَّبعَكَ الأَرْذَلون ﴾ [الشعراء: ١١١] .

وهل نقم اليهود على الإسلام والمسلمين إلّا حسداً وكمداً ! ﴿ وَدَّ كثير مِن أهلِ الكتابِ لَو يَرُدُّونكُم مِن بَعدِ إيمانكم كُفَّاراً حسَداً مِن عِندِ أنفسهم ﴾ [البقرة: ١٠٩] .

وهل كاد الأقران لبعضهم وسعوا بالنَّميمة والوَقيعة إلّا بالحسد ! حتى شبههم أحد الحفاظ بالتيوس في الزريبة من كثرة مشاجرتهم ومناطحتهم .

فالحسد داء خطير، وشر مستطير، يأكل القلوب كما تأكل النار الهشيم، فيحمل على سوء الخلق، وقلة الدين، والظلم، والعدوان، فانظر ما فعلَ خصوم الإمام البخاري حيث لفَّقوا له تهمة القول بخلق القرآن، وما فعل خصوم ابن تيميَّة وحساده؛ حيث أُلقي في السجن بضع سنين .

وهكذا ديدن الحساد، يسعون بالنميمة والإفساد في الأرض، لا كثر الله منهم، وأعاذنا الله من حسد الحاسدين، وشر العائبين، إنَّه ولي ذلك والقادرُ عليه .

ورسالتي هذه لبنة في صرح التَّصدي لهذا المرض الخطير، وذاك الوباء الداهم الذي لا يخلو منه زمان ومكان، ورجل وامرأة، إلاّ من رحم اللّٰه وقليل ما هم .

□ □ □ □ □

١ - تعريف الحسد :

قال صاحب القاموس : حَسَدَهُ الشيء، وعليه يَحْسِدُهُ ويَحْسُدُهُ حَسَداً وحُسوداً وحَسادَة، وحسَّدَهُ : تمنى أن تتحوَّل إليه نعمته، وفضيلته أو يسلبها، وهو حاسدٌ من حُسَّدٍ وحُسَّادٍ حَسَدةٍ، وحَسُودٌ من حُسُدٍ، وحسدني اللَّهُ إن كنتُ أحسُدُكَ، أي : عاقبني على الحَسَدِ .

وتحاسَدوا : حَسَدَ بعضهم بعضاً[١] .

وقال الراغب الأصفهاني :

حسد : الحسد تمني زوال نعمة من مستحقٍ لها وربما كان مع ذلك سعيٌ في إزالتها .

وروي : « المؤمن يغبط والمنافق يحسدُ » .

قال اللّه تعالى : ﴿ حَسَداً مِن عِندِ أنفُسِهِم ﴾ ﴿ ومِن

(١) « القاموس المحيط » (ص:٣٥٣) للفيروز آبادي .

شرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ ﴾[٢] .

وقال الإمام الغزالي رحمه اللَّه : « الحسد نوعان :

أحدهما : كراهة النعمة ، وحب زوالها عن المنعم عليه .

وثانيهما : عدم محبَّة زوالها مع تمني مثلها ، وهذا يسمى غبطة .

فالأوَّل : حرام بكل حال ، إلاّ نعمة أَصابها فاجر ، وهو يستعين لها على محرم كإفسادٍ وإيذاءٍ ، فلا يضر محبَّة زوالها عنه من حيث هي آلة الفساد[٣] .

قلت : والنوع الثَّاني ، الذي بمعنى الِغبطة مشروع يندرج تحت قول اللَّه تعالى : ﴿ وفي ذلك فَلْيَتَنافَس الْمُتنافِسون ﴾ [المطففين : ٢٦] .

□ □ □ □ □

---

(٢) « المفردات في غريب القرآن » (ص : ١١٨) .

(٣) « تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين » (ص٢٧٣) .

٢ - ذم الحسد في الكتاب والسنة

● قال اللَّه تعالى : ﴿ فَسَيَقولونَ بَل تَحسُدونَنا ﴾ [الفتح : ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحسُدونَ النَّاسَ على ما ءاتهم اللَّه مِن فَضلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكِتبِ لو يرُدُّونكم من بعدِ إيمنكم كفَّاراً حَسَداً مِن عِندِ أنفسِهِم ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ومِن شرٌ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] .

وأمَّا الأحاديث فمنها :

١ - عن أبي هريرَة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا تَحاسَدوا وَلا تَناجشوا، ولا تَباغَضوا، وَلا

تَدابَروا ... »[٤].

٢ — وعن أَبي ذر رضي اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ : « إنَّ العين لتُولَعُ بالرجل بإذنِ اللَّه تعالى حتى يصعد حالقاً* ثمَّ يتردَّى منه »[٥].

٣ — وعنه أيضاً رضي اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ : « العين تُدخل الرجل القبر، وتُدخل الجمل القدر »[٦].

قلت : أَي : يموت الرجل من العين، ويدفن في القبر، ويسقط الجمل صريعاً، فينحره أهله ويأكلونه، وهذا له شواهد وحوادث لا تحصى كثرة .

٤ — وعن أبي هريرَة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « العين حق »[٧].

---

(٤) أخرجه مسلم، وأحمد .

* الحالق : هو الجبل العالي .

(٥) رواه أحمد، وأبي يعلى في « مسنده »، انظر « صحيح الجامع » (١٦٨١)، و « الصحيحة » (٨٨٩) .

(٦) أخرجه ابن عدي، وأبي نعيم في « الحلية » عن جابر، وأخرجه ابن عدي عن أبي ذر، انظر « الصحيحة » (١٢٤٩)، و « صحيح الجامع » (٤١٤٤)، وقال شيخنا : حديثٌ حسن .

(٧) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي عن =

٥ – وفي رواية عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا »[٨].

٦ – عن أبي أُمامة سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « علام يقتل أحدكم أخاه، إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة »[٩]، ثم دعا وعاء فأمر عامراً أن يتوضأ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبته وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه[١٠].

٧ – عن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول اللَّه إنَّ بني جعفر تصيبهم العين، أفنَستَرقي لهم ؟ قال : « نعم فلو كان

= أبي هريرة وابن ماجه عن عامر بن ربيعة، انظر « صحيح الجامع » (٤١٤٦)، و « الصحيحة » (١٢٤٨) .

(٨) أخرجه أحمد، ومسلم، وانظر « الكلم الطيب » (٢٤٢) ، و « الصحيحة » (١٢٥١)، و « مختصر مسلم » (١٤٥٤)، و « صحيح الجامع » (٤١٤٧) لشيخنا الألباني .

(٩) أخرجه النسائي، وابن ماجه، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٤٠٢٠)، و « المشكاة » (٤٥٦٢) .

(١٠) قال سفيان : قال معمر عن الزهري : وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه .

شيء يسبق القضاء لسبقته العين »[11].

٨ – وعن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : قال رسول اللّٰه ﷺ : « استعيذوا باللّٰه فإن العين حق »[12].

٩ – وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال رسول ﷺ : « اقتلوا ذي الطفيتين[13] والأبتر[14] فإنّهما يلمسان البصر ويسقطان الحبل »[15].

قلت : ووجهُ إيراد هذا الحديث في أحاديث الحسد، أنَّ هذا النوع من الأفاعي يتكيَّف بكيفيَّة خبيثة كما يتكيف الحاسد فيؤدي ذلك إلى طمس بصر الإنسان وسقوط ما في أرحام الحوامل عندما يقع نظرهما عليهن فالجامع بينهما خبث النفس، وفيها من شدة السميَّة ما ليس في غيرهما من الأفاعي .

---

(١١) انظر « صحيح ابن ماجه »، و « المشكاة » (٤٥٦٠)، و « تخريج الكلم الطيب » (٢٤٦)، و « الصحيحة » (١٢٥٢) لشيخنا الألباني .

(١٢) أخرجه ابن ماجه، وانظر « صحيح الجامع » (٢٨٢٧)، و « الصحيحة » (٧٣٧) .

(١٣) وهما الخطان الأبيضان على ظهر الحية .

(١٤) قصير الذنب .

(١٥) أي : الجنين من بطن أمه .

٣ - الرقية من الحسد وغيره

١ - عن أبي سعيد قال : كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ من عين الجان ثم أعين الإنس، فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك »[١٥].

قلت : في الحديث التَّصريح بعين الجآن وأنَّها تصيب الإنسان بل هي أخبث وأشدّ من عين الإنسان ولذلك قدم ذكرها في الحديث واللَّه أعلم .

٢ - وعن بريدة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا رقيَة إلّا من عين أو حُمَة »[١٦]، الحمَة : هو كل ماله إبرة سامَّة كالعقرب ونحوه .

---

(١٥) أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه والضياء، وانظر « الكلم الطيب » (٢٤٦)، و « المشكاة » (٤٥٦٣)، و « صحيح الجامع » (٤٩٠٢) .

(١٦) أخرجه مسلم، وابن ماجه، وأخرجه أحمد، وأبي داود، والترمذي عن عمران ولكن بزيادة « أو دمٍ » .

وعن جابر رضي اللَّه عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار يقال لهم آل عَمرو بن حزم يرقون من الحُمَّة، وكان رسول اللَّه ﷺ قد نهى عن الرُّقى، فأتوه فقالوا :

يا رسول ! إنَّك قد نهيت عن الرقي، وإنَّا نرقي من الحُمَة، فقال لهم : اعرضوا عليَّ، فعرضوها عليه، فقال : « لا بأس بهذه، هذه مواثيق »[17].

٤ – وعن عوف بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك »[18].

٥ – وعن أنس انَّ النَّبيَّ ﷺ رخص في الرقية من الحُمَة والعين والنَّملة »[19].

قوله : (الحُمَة) السّم، وهي الإبرة التي تضرب بها العقرب ونحوها .

(والنَّملة) قروح تخرج في الجنب ترقى فتبرأ بإذن اللَّه .

---

(١٧) « صحيح ابن ماجه » (٢٨٣٣)، و « الصحيحة » (٤٧٧٣) .

(١٨) أخرجه مسلم، وأبي داود، وانظر « صحيح الجامع » (١٠٤٨)، و « الصحيحة » (١٠٦٦) .

(١٩) أخرجه مسلم، وابن ماجه .

قلت : ومع جواز الرقية فطلبها مكروه، لأنَّها تنافي كمال التَّوكُّل على اللَّه تعالى فمن صفات السّبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بلا حساب أنَّهم لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلون »[٢٠].

ويؤيده حديث : عمار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من اكتوى أو استرقى فهو بريء من التَّوكُّل »[٢١].

□ □ □ □ □

---

(٢٠) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم بزيادة (لا يرقون) .

وهي شاذة سنداً ومتناً، وهي مما تفرّد به مسلم دون البخاري، قال شيخنا في « صحيح الجامع » (٢/٧٤٠) : « حسبك دليلاً على شذوذه أنَّ النَّبي ﷺ قد رقي غيره أكثر من مرَّة » .

(٢١) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصحّحه ابن حبّان، والحاكم، وصحّحه شيخنا في « صحيح الترمذي » (١٦٧٧)، و « صحيح ابن ماجه » (٣٤٨٩) .

٤ - أنواع الحسَّاد

« والحسَّاد أضراب :

١ - فمن الحسَّاد من يسعى لزوال النِّعمة من المحسود، وذلك بالبغي عليه بالقول أو الفعل، ثمَّ يسعى لنقل ذلك لنفسه .

قلت : وقلَّما يخلو حاسد من هذه الخلال المشينة ومن استقرأ التَّاريخ والتَّراجم علم الشيء الكثير وانظر أيُّها القارىء إلى ما فعله خصوم شيخ الإسلام ابن تيميَّة من توغير صدور الحكَّام عليه حتى أودع في السجن مراراً حسداً من عند أنفسهم .

٢ - ومنهم من يسعى لزوال النِّعمة من المحسود بقوله وفعله، من غير نقلها إلى نفسه .

٣ - ومنهم من إذا حسد أخاه لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغ على المحسود بقول أو فعل وهذا له حالتان :

أ - أن يكون مغلوباً على أمره في هذا الدَّاء، وهذا إلاّ يأثم .

ب - أن يكون يحدث نفسه بالحسد اختياراً ويكون مستروحاً بذلك دون أن يحاسب نفسه ويأنِّبها على ذلك وهل يعاقب على ذلك ؟

فيه خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يرى أنَّه يأثم، ومنهم من لا يرى ذلك .

٤ - وبعضهم إذا وجد في نفسه الحسد، اجتهد على إزالته وأحسن للمحسود بإظهارها فضائله أمام الآخرين، ودعا له في ظهر الغيب، فهذا فعل الممدوح وهو دليل على الإيمان »[٢٢] .

□ □ □ □ □

---

(٢٢) قواعد وفوائد من « الأربعين النَّوويَّة » (ص:٢٩٨-٢٩٩) للأخ ناظم سلطان، بشيء من التصرف .

٥ - أسباب دوافع الحسد

« للحسد المذموم مداخل كثيرة وأسباب عديدة :

فمنها العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد فإن آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرض بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي منه التشفِّي والانتقام، فإن عجز المتنغض عن أن يتشفَّى بنفسه، أحب أن يتشفَّى منه الزَّمان، وربَّما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند اللَّه تعالى، فمهما أصابت عدوّه بلية فرح بها، وظنَّها مكافأة له من جهة اللَّه على بغضه وأنَّها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، لأنَّه ضدَّ مراده وربَّما يخطر له أن لا منزلة له عند اللَّه حيث لم ينتقم له من عدوّه الذي آذاه، بل أنعم عليه .

وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعدواة ولا يفارقهما، وإنَّما غاية التقي أن لا يبغي، وأن يكره ذلك من نفسه .

ومنها : التَّعزُّز، وهو أن يثقل عليه أن يترفَّع عليه غيره .

ومنها : حب الرِّياسة وطلب الجاه بأن يكون منفرداً عديم النَّظير، غير مُشارَكٍ في المنزلة، يسوؤه وجود مناظر له في المنزلة .

قلت : وكم عانينا وعانى غيرنا من طلبة العلم من أمثال هؤلاء فالله المستعان .

ومنها : خبث النَّفس وشحها بالخير لعباد الله بحيث يضق عليه أن يوصف عنده حسن حال عبد، فيما أنعم عليه، ويفرح بذكر فوات مقاصد أحد، واضطراب أُموره، وتنغص عيشه، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنَّهم يأخذون ذلك من ملكه، وهذا ليس له سبب ظاهر، وإلاّ خبث في النَّفس، ورذالة في الطبع .

ومعالجته شديدة لأنَّه خبث في الجبلّة، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها، أو جميعها في شخص واحد، فيعظم فيه الحسد بذلك، ويقوى قوَّة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة، بل ينتهك حجاب المجاملة، وتظهر العداوة بالمكاشفة، أعاذنا المولى من ذلك بلطفه وكرمه »[٢٣] .

---

(٢٣) «تهذيب موعظة المؤمنين»(ص: ٢٧٤-٢٧٥) لجمال الدِّين القاسمي .

قلت : قلَّما نجد حاسداً - إلاّ من رحِمَ ربُّكَ - من خبث في النفس ورذالة في الطبع وخبث في الجبلة، فيظهر ولو بعد حين العداوة ويسعى بكل قوَّته للنيل من محسوده، بالغمز واللمز والتحريض بالقول والفعل .

□ □ □ □ □

٦ - أوّل من حسد إبليس
أعاذنا الله منه

وأوّل من سنَّ هذه السُّنَّة السَّيِّئة - وهي الحسد - إبليس عليه لعنة اللَّه، فهو إمام كل حاسد وشيخه الأكبر، وسلسلة الحسد الخبيثة تنتهي بإبليس .

« فهو الذي حسد آدم عليه السَّلام على ما أنعم اللَّه عزَّ وجلَّ عليه، وسعى لإزالة هذه النِّعمة منه، ووصل إلى مراده وتسبَّب في شقاء[٢٤] ذرِّيَّته عليه لعنة اللَّه إلى يوم الدِّين »[٢٥] .

قال تعالى حاكياً حسد إبليس وكبره : ﴿ إذْ قالَ ربُّكَ للمَلائكَةِ إنِّي خالقٌ بشراً مِن طين ○ فإذا سَوَّيْتُهُ ونفَختُ فيهِ مِن رُوحي فَقَعُوا لهُ ساجدين ○ فَسَجَدَ الملائكَةُ كلُّهُم

(٢٤) إن أراد الشارح خروجهم من الجنة في صلب أبيهم آدم فهذا وجيه، وإن أراد عذابهم فليس كل ذريَّة آدم شقيَّة إلاّ إذا أراد التَّغليب والله أعلم .

(٢٥) « قواعد وفوائد » (ص: ٣٠٠) ناظم سلطان .

أجمَعون ○ إلاّ إبليسَ استَكبَرَ وكانَ مِن الكافرين ○ قال يا إبليسُ ما منَعكَ أن تسجُدَ لما خلَقْتُ بيديَّ استَكبَرت أمْ كُنتَ منَ العالين ○ قالَ أنا خيرٌ منهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وخلقتَهُ مِن طين ○ قالَ فاخرج منها فإنَّكَ رجيم ○ وإنَّ عليك لَعنَتي إلى يَوم الدِّين ﴾ [ص: ٧٠-٧٨] .

قلت : والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة، ولذلك قال بعض السَّلف : « أنَّ أوَّل خطيئة كانت هي الحسد، حسد إبليس » آدم عليه السَّلام على رتبته، فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية »[26] .

□ □ □ □ □

(٢٦) « تهذيب موعظة المؤمنين » (ص: ٢٧٣) .

٧ - الحسد خُلق اليهود والنّصارى
ومن تشبّه بهم من هذه الأمّة

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِن بعدِ إيمانكم كفَّاراً حَسَدَاً مِن عندِ أنفسِهم مِن بعدِ ما تبيَّنَ لهم الحقّ ﴾ [البقرة: ١٠٩] .

فأهل الكتاب من يهود ونصارى يتمنَّون أن نرتدّ عن إسلامنا مع علمهم بأنَّه الدِّين الحق، ويثيرون الشبهات الواهية لصدّ النَّاس عن منهج اللَّه، ويؤلِّبون سلاطين الأرض على النَّيل من دعاة الإسلام في مختلف أقطار المسلمين، والسَّبب في ذلك الحسد الذي تغلغل في سويداء قلوبهم المريضة »[٢٧].

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحسدونَ النَّاسَ على ما آتاهُم اللَّهُ مِن فَضلِه ﴾ [النساء: ٥٤] .

والمقصود بهم اليهود، حسدوا رسول اللَّه ﷺ على ما

(٢٧) « قواعد وفوائد » (ص: ٢٩٨) ناظم سلطان .
وانظر « جامع العلوم الحكم » لابن رجَب الحنبلي (ص: ٢٨٦) .

منَّ اللَّه عليه مِن الرِّسالة وغيرها، وحسدوا أصحابه على الإيمان به .

قال ابن عبَّاس ومجاهد وغيرهما : « حسدوه على النُّبوَّة وحسدوا أصحابه على الإيمان به »[28] .

« ولا زال أبناء القردة والخنازير وأذنابهم يسعون بالصَّدِّ عن منهج اللَّه بقولهم وفعلهم ، وذلك بسبب الحسد الذي سوَّد قلوبهم فأعماها عن الحق »[29] .

وقال الشيخ عبدالرَّحمن الدُّوسري في شرحه للآية :

« يخبرنا سبحانه في الآيَة الأولى مَن هاتين الآيتين عن دقائق النُّفوس اللئيمة لبني إسرائيل الذين جعلوا من دينهم عصبيَّة جنسيَّة لهم تقوم على أساسه منافعهم الشخصيَّة وأغراضهم الأنانيَّة أنَّهم لم يكتفوا بكفرهم بالنَّبيِّ ﷺ والكيد له ونقض عهوده بغياً وحسداً له ولقومه على نعمة الرِّسالة والنُّبوَّة، بل هم يزيدون على ذلك بما قصَّه اللَّه علينا في هذه

---

(28) « تفسير القرطبي » (٥/٢٥١) .

(29) « قواعد وفوائد » (ص: ٢٩٨) .

الآية بقوله تعالى : ﴿ وَدَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ لَو يَرُدُّونكم مِن بعدِ إيمانكم كفَّاراً حسداً مِن عِندِ أنفسهم ﴾ [البقرة: ١٠٩] فهذا بيان من اللَّه لما يضمرونه، وما تخفيه صدورهم للمسلمين من الحقد اللئيم والحسد على نعمة الإسلام التي عرفوا الحقّ وإن وراءها السُّؤدد والسَّعادة في الدَّارين، ولكن لما شقَّ عليهم اتِّباعهم تمنُّوا حرمانهم هذه النِّعمة، وأن يرجعوا كفَّاراً كما كانوا من قبل رغبة منهم في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون وهذا شأن الحاسد، يتمنَّى أن يسلب محسوده النعمة ولو لم يصل إليه شيء منها، فالحسد الكائن في صدور اليهود هو ذلك الانفعال الخسيس الذي تنبعث منه جميع دسائسهم ومؤامراتهم، وتدميراتهم، وهو السَّبب الكامن وراء كل فتنة يقيمونها .

ومما يعمق ذلك الحسد في صدورهم من قديم الزَّمان استيقانهم بأنَّ التَّمسُّك بهذه الرِّسالة، والزَّاحف بها في ربوع الأرض يكون له الحول والطول، وينال السِّيادة من اللَّه، ليس عليهم فقط بل على جميع النَّاس ما داموا مستيقنين أنَّهم سيدخلون تحت سلطانهم، فكيف لا يحسدونهم على ذلك ؟

ولكن الله غالب على أمره »[1].

وقال رحمه الله : « وفائدة هذه التَّنبيهات أن يعلم المسلمون أن ما يلقيه أهل الكتاب من اليهود وأذيالهم النَّصارى من الشبهات على الإسلام، وتشكيك المسلمين فيه إنَّما هو من مكرهم السيء الذي مبعثه الحسد والحقد، ليس النُّصح الذي مبعثه الاعتقاد، ولذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ حَسَدًا مِن عندِ أنفُسهم ﴾ ليوضح لعباده المؤمنين أن حسدهم لم يكن عن شبهة دينيَّة أو غيرةٍ على حق يعتقدونه، وإنَّما هو عن خبث النُّفوس، ولؤم الطِّباع، وفساد الأخلاق، والتَّمادي في الباطل، إصراراً أو عناداً، ولذلك أتبعه بقوله : ﴿ مِن بعدِ ما تبيَّن لهم الحق ﴾ فالحق عندهم ظاهر متبين أنَّه مع محمَّد ﷺ، ومع أصحابه، وهم يعرفونه بكل وضوح لكنَّهم عادوه عداءاً صريحاً لمَّا صدر على غير أيديهم وحسدوا أهله بكل وقاحة بعد ما تبيَّنَ لهم الحق بالآيات التي جاء بها النَّبيُّ مطابقة لما في بشارات التَّوراة له »[1].

---

(١) « تربية الإسلام وادِّعاءات التحرُّر » (ص : ٣٢٣ - ٣٢٤) للشيخ عبدالرَّحمن الدُّوسري رحمه الله .

(١) المصدر السَّابق (ص: ٣٢٥-٣٢٦) .

٢/٧ - « مظاهر الحسد عند يهود اليوم »

وقال الشيخ عبدالرَّحمن الدُّوسري رحمه اللَّه : « وليعلم أنَّ أوائل اليهود يودُّون لو ارتدَّ المسلمون وصاروا كفَّاراً كما حكى اللَّه عنهم، ولكن أواخرهم (يعني يهود اليوم) في هذا الزَّمان عملوا على تخطيط ردّة جديدة، وجاهليَّة جديدة مصطبغة بشتَّى الأسماء والألقاب من قوميَّة وبعثيَّة واشتراكيَّة وشيوعيَّة وإباحيَّة، ووجوديَّة تمثِّل التَّعرِّي والحيوانيَّة وفرعونيَّة تمثل ألواناً من ضروب الوثنيَّة وعبادة الأشخاص ولكل مذهب دعاة بتحضيض من اليهود وعملاء اليهود، وتمويل سخي خفي فيه من الإغراء ما ليس له مثيل، لقد خططت الماسونيَّة اليهوديَّة خطوطاً عريضة نفذ غالبها الاستعمار وخلفاءَ الذين يتبجَّحون بطرده وشتمه إفكاً وزوراً، خطوطاً عريضة بعيدة المدى لتفتيت العقيدة، وإفساد الأخلاق، وإخراب الضَّمائر حتى كسبوا من شباب الأُمَّة من يتنكَّر لدينه وأمجاده وتاريخه، ويعتز بالفراعنة، وما خلفوه مما هو نتيجة تسخير الشعب البائس وإحماء ظهوره بالسِّياط ليحمل الأثقال، ويبني الأهرام بعرقه المتصبِّب،

وعضلاته الملهبة بضرب السِّياط، وإلاّ فلم يذكر تاريخهم أنَّهم رصدوا له كذا وكذا من آلاف الملايين، ولا أنَّهن صنعوا ما يريح الشعب من الآلات الحاملة للأثقال بل على العكس من ظهور الشعب وعرقه، والعجب أنَّ الذين أوقف اللَّه عليهم اللعنة يوجد من أبناء المسلمين من يقدسونهم نتيجة للردَّة الجديدة والعياذ باللَّه »[1].

□ □ □ □ □

(١) المصدر نفسه (ص: ٣٢٧-٣٢٨) .

٧- آثار الحسد السيئة على الحاسد

قال الغزالي رحمه اللَّه :

« ... أمَّا كونه ضرراً عليك في الدِّين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء اللَّه تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، فاستنكرت ذلك واستبشعته، وهذه جناية في صفة التَّوحيد، وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدِّين، وقد انضاف إلى ذلك أنك فارقت أولياءه وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس والكفَّار في محبَّتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النَّار الحطب، وأمَّا كونه ضرراً في الدُّنيا، فهو أنَّكَ تتألَّم بحسدك في الدُّنيا أو تتعذَّب به، ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم اللَّه تعالى عن نعم يفضيها عليهم، فلا تزال تتعذَّب بكل نعمة تراها، وتتألَّم بكل بلية تنصرف عنهم، فتبقى مغموماً ضيق الصَّدر، قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك

وتشتهيه لأعدائكَ، فقد كنت تريد المحنة لعدوِّك فتنجزه في الحال محنتك وغمك نقداً، ولا تزول النِّعمة عن المحسود بحسدِهِ »[1].

قلت : لا تزول النِّعمة عن المحسود بحسده إلاّ أن يشاء اللَّه فقد ثبت « أنَّ العين تُدخل الرَّجل القبر والجمل القدر »[2] وكل ذلك داخل تحت مشيئة اللَّه وقدرته فالعين لا تضر استقلالاً وإنَّما كل شيء بقدر اللَّه .

وقد رقى جبريل النَّبيَّ ﷺ من شرِّ الحسد قائلاً :

« بسم اللَّه أرقيك، من كلِّ شيءٍ يُؤذيك، من شرِّ كلِّ نفس أو عين حاسدٍ اللَّه يشفيك باسمَ اللَّه أرقيك »[3].

قال ابن القيِّم : « فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد »[4].

وروى الترمذي من حديث أبي سعيد : « أنَّ النَّبيَّ ﷺ

---

(١) « تهذيب موعظة المؤمنين » (ص:٢٧٥-٢٧٦) للشيخ جمال الدِّين القاسمي رحمه اللَّه .

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » .

(٤) « التفسير القيِّم » (ص:٥٧٤) .

كان يتعوَّذ من الجان ومن عين الإنسان فلمَّا نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك »[1].

قال ابن القيِّم : « فلولا أنَّ العين شر لم يتعوَّذ منها »[2].

وقال يرحمه اللَّه : « ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة – إن كنت عاقلاً – أن تحذِّر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النَّفع ، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة ؟ فما أعجب من يتعرَّض لسخط اللَّه من غير نفع يناله ، بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه ، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة »[3].

وقال ابن القيِّم : « فهو يكره (أي الحاسد) أن يحدث اللَّه لعبده نعمة بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن اللَّه أو قلَّة دينه ، فهو يتمنَّى دوام ما هو فيه من نقصٍ وعيب ، فهذا حسد على شيء مقدَّر ، والأوَّل حسد على شيء محقَّق وكلاهما حاسد عدو نعمَة اللَّه وعدو

---

(١) تقدَّم تخريجه .

(٢) « التفسير القيِّم » (ص:٥٧٩) .

(٣) المصدر نفسه .

عباده، وممقوت عند اللَّه تعالى وعند النَّاس، ولا يسود أبداً ولا يواسى فإنَّ النَّاس لا يُسوِّدون عليهم إلاّ من يريد الإحسان إليهم فأمَّا عدو نعمة اللَّه عليهم فلا يسوِّدونه باختيارهم أبداً إلاّ قهراً يعدُّونه من البلاء والمصائب التي أبتلاهم اللَّه بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم »[1] . أ.هـ.

□ □ □ □ □

(١) « التَّفسير القيِّم » (ص: ٥٨٤) .

٩ - الجامع بين الحاسد والساحر
(الحاسد من جند إبليس)

قال الإمام ابن القيِّم رحمه اللَّه : « ... وكثيراً ما يجتمع في القرآن الحسد والسحر للمناسبة، ولهذا كان اليهود أسحر النَّاس وأحسدهم، فإنَّهم لشدَّة خبثهم : فيهم من السحر والحسد ما ليس في غيرهم، وقد وصفهم اللَّه في كتابه بهذا وهذا فقال : ﴿ واتَّبعوا ما تَتلوا الشياطين على مُلكِ سُليمان ... وَلَبِئسَ ما شَرَوا بِهِ أنفُسهُم لَو كانو يَعلَمون ﴾ [البقرة : ١٠٢] إلى أن قال ... « والشيطان يقارن الساحد والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشياطين، لأنَّ الحاسد شبيه بإبليس، وهو في الحقيقة من أتباعه لأنَّه يطلب ما يحبّه الشيطان من فساد النَّاس، وزوال نعم اللَّه عنهم، كما أنَّ إبليس حسد آدم لشرفه وفضله، وأبى أن يسجد له حسداً، فالحاسد من جند إبليس، وأمَّا الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه، وربَّما يعبده من دون اللَّه حتى

يقضي له حاجته وربَّما يسجد له .

والمقصود : أنَّ السَّاحر والحاسد كل منهما قصده الشر لكن الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود، والشيطان يقترن به ويعينه ويزيِّنُ له حسده، ويأمره بموجبه، والساحر بعلمه وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين »[1].

□ □ □ □ □

---

(١) « التفسير القيِّم » (ص: ٥٨٠-٥٨٢) .

١٠ - الجامع بين الحاسد والعائن

قال ابن القيِّم رحمه اللَّه : « والعاين والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيَّف نفسه، وتتوجَّه نحو من يريد أذاه، فالعائن (الذي يصيب بالعين) : تتكيَّف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته .

والحاسد : يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أنَّ العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربَّما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفيَّة تؤثِّر في المعين .

وقد قال غير واحد من المفسِّرين في قوله تعالى : ﴿ وإن يكادُ الَّذينَ كَفَروا ليزلقونكَ بأبصارهم لمَّا سَمِعوا الذِّكرَ ﴾ [القلم : ٥١]، إنَّه الإصابة بالعين أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللَّه ﷺ، فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا : ما رأينا مثله، ولا مثل حجَّته، وكان طائفة منهم تمر به النَّاقة والبقرة السَّمينة

فيعينها ثم يقول لخادمه : خذ المكتل والدِّرهم وأئتنا بشيء من لحمها فما تبرح حتى تقع فتنحر » .

ثمَّ نقل عن الكلبي أنَّهُ قال : كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول : لم أَرَ كاليومِ إبلاً ولا غنماً أحسنَ من هذه، فما تذهب إلّا قليلاً حتى تسقط منها طائفة فسأل الكفَّار هذا الرَّجل أن يصيب رسول اللَّه ﷺ بالعين ويفعل به كما يفعل في غيره فعصم اللَّه رسوله وحفظه وأنزل عليه : ﴿ وإن يكاد الَّذين كَفَروا ليزلقونكَ بأبصارهم ﴾ هذا قول طائفة، وقالت طائفة أخرى منهم ابن قتيبة : ليس المراد أنَّهم يصيبوك بالعين كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنَّما أراد : أنَّهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك .

قال الزجاج : يعني من شدَّة العداوة يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل : نظر إليَّ نظراً كاد يصرعني .

قال : ويدلُّ على صحَّة هذا المعنى : أنَّه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهيَّة فيحدّون

إليه النَّظر بالبغضاء »[1].

قلت : لا يمنع أن يكون نظر الكفار إلى النَّبيِّ ﷺ صادراً عن حسد فلا تنافي بين ما هم عليه من حقد وغل وبين ما جمعوا إلى ذلك من حسد، فالحاسد حاقد باغض لمحسوده والحاسد ينظر إلى محسوده نظرة حقد وغل ولكن فيما رواه ابن القيِّم عن الكلبي نظر لأنَّ الكلبي هذا لا يُعَوِّلُ عليه أهل العلم بالحديث فهو متروك وهذا لا يمنع أن ينظر الكفَّار إلى النَّبيِّ ﷺ نظرة حاسد عائن لذلك قال ابن القيِّم : « فالكفَّار كانوا ينظرون إليه نظر حاسد شديد العداوة فهو نظر يكاد يزلقه لولا حفظ اللَّه وعصمته، فهذا أشد من نظر العائن، بل هو جنس نظر العائن فمن قال : إنَّه من الإصابة بالعين أراد هذا المعنى ومن قال : ليس به أراد أن نظرهم لم يكن نظر استحسان وإعجاب فالقرآن حق »[2].

---

(١) « التفسير القيِّم » (ص: ٥٧٧-٥٧٨) .

(٢) المصدر السَّابق (ص: ٥٧٩) .

١١ - آثار الحسد على الأفراد والجماعات

والحسد داء عضال يقضي على أوثق الرَّوابط ولو كانت بين الأخ وإخوانه، ألم ترَ كيف حسد إخوة يوسُف أخاهم ومكروا به وكادوا له، وقد قصَّ اللَّه علينا قصَّتهم مع أخيهم يوسف الذي حسدوه فتعرَّض بسبب حسدهم لمحن كثيرة ومصائب عظيمة فاستغرق ثم سجن وحسدهم إيَّاه بسبب حبّ أبيهم يعقوب الزَّائد له .

قال تعالى : ﴿ إذْ قالوا ليوسُف وأخوهُ أحبُّ إلى أبينا منَّا ونَحنُ عُصبَة إنَّ أبانا لَفي ضلالٍ مُبين ○ اقتُلوا يوسُف أو اطرَحوهُ أرضاً يخل لكم وجهُ أبيكُم وتَكونوا مِن بعده قوماً صالحين ○ قال قائلٌ منهم لا تقتُلوا يوسُف وألقوهُ في غيابَتِ الجبِّ يلتقطهُ بعضُ السَّيَّارة إنْ كنتُم فاعلين ﴾ [يوسف:٨–١٠] .

بل وصلَ الأمر بالحاسد إلى قتلِ أخيه لأنَّ اللَّهَ تقبَّل قُربانَ

أخيه ولم يتقبَّل قربانه هو، فكانت أوَّل جريمة قتل وقعت على الأرض دافعها الحسد الذي تولَّد عنه عداوة وبغضاء وحقد شديد ثمَّ عزيمة قويَّة على تنفيذ الجريمة للتخلُّص من محسوده فكان ما قصَّ اللَّه علينا من أمر ابني آدم :

قال تعالى : ﴿ وَاتلُ عليهم نبأَ ابنَي آدم بالحقِّ إذْ قرَّبا قُرباناً فتُقُبِّلَ مِن أحدهما ولم يتقبَّل من الآخر قال لأقتلنَّكَ قال إنَّما يتقبَّلُ اللَّه منَ المتَّقين لئن بَسَطتَ إليَّ يَدَكَ لتَقتُلَني ما أنا بِباسط يَديَّ لأَقتُلك إنِّي أخافُ اللَّهَ ربَّ العالمين ○ إنِّي أُريد أن تبوءَ بإثمي وإثمك فتكون مِن أصحاب النَّار وذلك جزاء الظالمين ○ فطوَّعت له نفسهُ قتل أخيه فَقَتَلَهُ ○ فأصبحَ مِنَ الخاسرين ﴾ [المائدة : ٢٧-٣٠] .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات : « يقول تعالى : مبيِّناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابنَي آدم لصلبه - في قول الجمهور - وهما هابيل وقابيل، كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له، فيما وهبه اللَّه من النِّعمة، وتقبَّل القربان الذي أخلص فيه للَّه عزَّ وجلَّ ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنَّة، وخاب القاتل، ورجع

بالصفقة الخاسرة في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنَي آدم بالحقّ ﴾ واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة، إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم، وأشباههم، خبر ابنَي آدم، وهما هابيل وقابيل فيما ذكر غير واحد من السَّلف والخلف »[1].

وهذه تؤدِّي إلى تمزيق أقوى الرَّوابط بين البشر لذلك حذَّر رسول الله ﷺ أُمَّته من هذا الدَّاء الخبيث لأنَّه يفرِّق الجمع، وينشر الشحناء والبغضاء بين الأُمَّة، وهذا يؤدِّي إلى التفرُّق والشتات والضَّعف والإنهيار، لذلك قالوا : أوَّل ذنب عُصِيَ الله به في الأرض الحسد حين حسدَ قابيل »[2].

والحسد : هو الذي حمل إبليس على الاستكبار والتمرُّد على أمر الله فحقَّت عليه اللعنة إلى يوم الدِّين فقد أمر الله إبليس أن يسجد لآدم فأبى واستكبرَ وكان منَ الكافرين، قال تعالى : ﴿ إذْ قالَ ربُّكَ للملائكَةِ إنِّي خالقٌ بشراً مِن طين فإذا سَوَّيتهُ ونفختُ فيه مِن رُوحي فقعُوا لهُ ساجدين ○ فَسَجَدَ

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٣/٧٥) .

(٢) « قواعد وفوائد » للأخ ناظم سلطان .

الملائكةُ كلُّهم أجمعون ○ إلاّ إبليس استكبرَ وكان منَ الكافرين قال يا إبليسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسجُدَ لما خلقتُ بيديَّ استَكبرتَ أمْ كنتَ مِن العالين قال أنا خَيرٌ منهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وَخَلقتَهُ مِن طين قال فاخرُج منها فإنَّكَ رجيم ○ وإنَّ عليكَ لعنَتي إلى يومِ الدِّين ﴾ [ص: ٧٠-٧٨] .

□ □ □ □ □

١٢ - فضل من زكت نفوسهم فطهرت من دنس الحسد والحقد

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنَّا جلوساً مع رسول اللَّه ﷺ فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنَّة ، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علَّق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال النَّبيُّ ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرَّة الأولى ، فلما كان اليوم الثَّالث قال النَّبيُّ ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرَّجل على مثل حاله الأوَّل ، فلما قام النَّبيُّ ﷺ تبعه عبداللَّه بن عمرو فقال : إنِّي لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت .

قال : نعم - قال : أنس - فكان عبداللَّه يحدث أنَّهُ بات معه تلك الثَّلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنَّهُ إذا تعار (تقلب على فراشه) ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ وكبَّر حتى صلاة الفجر ، قال عبداللَّه : غير أنِّي لم أسمعه يقول إلَّا خيراً ،

فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن احتقر عمله، قلت : يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرّات : « يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنَّة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فانظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلّا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال : « ما هو إلّا ما رأيت غير أنّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا حسداً على خيرٍ أعطاه اللَّهُ إيَّاه، فقال عبداللَّه : هذه التي بلغت بك »[1].

قلت : فليت النَّاس يعون هذا الحديث العظيم ويتدبَّرونه ويعملوا به خصوصاً الدُّعاة منهم والمشايخ الذين أصاب الحسد والحقد من بعضهم مقتلاً فتجد أحدهم ينقم عليك لا لشيء تختلف فيه معه من أصول الدِّين وفروعه وإنَّما لأنَّهُ شعر بأنَّك أصبَحتَ ندَّاً لهُ حين توجَّهَت قلوبُ النَّاس إليك واجتَمعوا

(١) أخرجه أحمد، وهو على شرط الشيخين وحسَّنه شيخنا في « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب » .

عليك فعمل كل ما في وسعه لإيذائك والنَّيل منك ولو بالغيبة والنَّميمة والتَّحريض، أولئك وأمثالهم أحرى بهم وأولى أن يعظوا أنفسهم ويعالجوا أمراضها قبل أن يشتغلوا بوعظ النَّاس .

□ □ □ □ □

١٣ - حسد الجن أخبث من حسد الإنس

قال ابن القيِّم رحمه اللَّه : « قوله : ﴿ ومِن شرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾ يعمّ الحاسد من الجنّ والإنس، فإنَّ الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم اللَّه من فضله، كما حسد إبليس أبانا آدم وهو عدوّ لذريَّته كما قال تعالى : ﴿ إنَّ الشيطانَ لكُم عَدوّ فاتَّخذوهُ عَدوًّا ﴾ [فاطر:٦]، ولكن الوسواس أخصّ بشياطين الجن، والحسد أخص بشياطين الإنس، والوسواس يعمُّها كما سيأتي بيانها، والحسد يعمها أيضاً فكلا الشيطانين حاسد موسوس، فالاستعاذة من شر الحاسد تتناولها جميعاً »[١].

لذلك قال ابن القيم في « الزَّاد » (١٦٤/٤) :

العين : عينان؛ عين إنسيَّة، وعين جنيَّة، فقد صحَّ عن أُمِّ سلمة رضي اللَّه عنها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى في بيتها جارية

(١) « التفسير القيِّم » (ص:٥٨٢) .

في وجهها « سفعة » فقال : « استرقوا لها فإنَّ بها النَّظرة »[1] .

قال البغوي : « سفعة » أي: نظرة، يعني : من الجنّ يقول بها عين أصابتها من نظر الجنّ أنفذ من أسنَّة الرِّماح[2] .

□ □ □ □ □

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) « شرح السنّة » (١٣/١٦٣) بتحقيق شعيب وعبدالقادر أرناؤوط .



١٤ - ما ينتفع به المحسود من الحاسد

قال الإمام الغزالي رحمه الله :

« وأمَّا أنَّهُ لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح، لأنَّ النِّعمة لا تزول عنه بحسدك وأمَّا أنَّ المحسود ينتفع به في الدِّين والدُّنيا فواضح .

أمَّا منفعته في الدِّين فهو أنَّهُ مظلومٌ من جهتك، لا سيَّما إذا أخرجكَ الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه، وهتك ستره، وذكر مساوئه، فهذه هدايا تهديها إليه، إذ تهدي إليه حسناتك، حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً، كما حرمت في الدُّنيا من النِّعمة .

فإذا تأمَّلت هذا عرفت أنَّك عدوّ نفسك وصديق عدوِّك إذ تعاطيت ما تضرَّرت به في الدُّنيا والآخرة، وانتفع به عدوّك في الدُّنيا والآخرة، وصرت مذموماً عند الخالق، شقيًّا في الحال

والمآل، ونعمة المحسود – شئت أم أبيت – دائمة باقية »[1].

□ □ □ □ □

(١) « تهذيب موعظة المؤمنين » (ص: ٢٧٦-٢٧٧) للشيخ العلامة جمال الدِّين القاسمي .

١٥ - حقيقة عين العائن كما يراها العلماء

قال الإمام ابن القيِّم رحمه اللَّه :

« وعقلاء الأُمَم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين .

فقالت طائفة : إنَّ العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفيَّة الرَّديئة انبعث من عينه قوَّة سُمِّية تتصل بالمعين، فيتضرَّر .

قالوا : ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوَّة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي[1] أنَّها إذا وقعَ بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن .

وقالت فرقة أخرى : لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض النَّاس جواهر لطيفة غير مرئيَّة فتتصل بالمعين وتتخلَّل مسام

---

(١) إشارة إلى نوعي الأبتر وذي الطفيتين فإنَّهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل كما جاء في الحديث الصَّحيح المتقدِّم .

جسمه فيحصل له الضَّرر[1].

قلت : وكثيراً ما يتسلَّط شيطان على الإنسان فيصرعه ويسكن في جسده عن طريق العائن وهذا معروفٌ بالتجربة لمن زاول المعالجة بالرقية وقد اعترف أكثر من جنِّي بأنَّهُ دخل إلى جسم فلان عن طريق العين ويكاد هذا أن يكون متواتراً عند كلّ من تصدَّى لعلاج حالات الصَّرع بالجنّ وهو سبب من أسباب تسلط الجنّ على الإنسان واللَّه أعلم .

وقالت فرقة أخرى : قد أجرى اللَّه العادة بخلق ما يشاء من الضَّرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوَّة ولا سبب ولا تأثير أصلاً .

وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتَّأثيرات في العالم، وهؤلاء قد سَدُّوا على أنفسهم باب العلل والتَّأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين .

ولا ريب أنَّ اللَّه سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواصّ وكيفيَّات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنَّه أمر مشاهد

(١) « زاد المعاد » (١٦٥/٤) .

محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمرُّ حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفرّ صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد النَّاس من يسقم من النَّظر وتضعف قواه، وهذا كلّه بواسطة تأثير الأرواح، ولشدَّة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنَّما التَّأثير للرُّوح والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفيَّاتها وخواصّها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذىً بيِّناً، ولهذا أمر اللَّه - سبحانه - رسوله أن يستعيذ به من شرّه، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلّا من هو خارج عن حقيقة الإنسانيَّة وهو أصل الإصابة بالعين، فإنَّ النَّفس الخبيثة الحاسدة تتكيّف بكيفيَّة خبيثة وتقابل المحسود، فتؤثر فيه، بتلك الخاصيّة، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى فإنَّ السَّمّ كامن فيها بالقوَّة، فإذا قابلت عدوَّها انبعثت منها قوَّة غضبيَّة وتكيّفت بكيفيَّةٍ خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتدّ كيفيَّتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثِّر في طمس البصر، كما قال النَّبيُّ ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين من الحيَّات : « إنَّهما

يلتمسان البصر و يسقطان الحبَل »[1].

والطفيتان : هما الخطَّان الأبيضان على ظهر الحيَّة .

والأبتر : قصير الذَّنب .

وقوله : « يلتمسان البصر » قال الخطابي : فيه تأويلان

أحدهما : معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرَّد نظرهما إليه بخاصَّة جعلها اللَّه تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان .

والثَّاني : إنَّهما يقصدان البصر باللسع والنَّهش والأوَّل أصحُّ وأشهر .

وقال رحمه اللَّه :

« ومنها (أي العين) ما تؤثر في الإنسان كيفيَّتها بمجرَّد الرُّؤية من غير اتِّصال به لشدَّة خبث تلك النَّفس، وكيفيَّتها الخبيثة المؤثرة، والتَّأثير غير موقوف على الاتِّصالات الجسيمة كما يظنه من قلَّ علمه ومعرفته بالطَّبيعة والشريعة؛ بل التَّأثير يكون تارة بالاتِّصال وتارة بالمقابلة وتارة بالرُّؤية وتارة بتوجه الرُّوح نحو من يؤثر فيه وتارة بالأدعية والرُّقى والتَّعوُّذات، وتارة بالوهم

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم .

والتخيُّل، ونفس العائن لا يتوقَّف تأثيرها على الرُّؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثِّر نفسه فيه، وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثِّر في المعين بالوصف من غير رؤية .

... فكلّ عائن حاسد وليس كلّ حاسد عائناً فلما كان الحاسد أعمّ من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذه من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه أثّرت فيه ولا بدَّ، وإن صادفته حذراً شاكي السّلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثِّر فيه وربَّما ردَّت السِّهام على صاحبها .

وأصله من إعجاب العائن بالشيء ثم تتبعه نفسه الخبيثة، ثمَّ تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد يعينُ الرَّجل نفسه[1] وقد يعين بغير إرادته بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النَّوع الإنساني وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن من عرف بذلك حبسه الإمام وأجرى ما ينفق عليه إلى الموت

---

(١) كما ذكر لي أنَّ عائناً نظر إلى وجهه في المرآة فأعجبته نفسه ولم يدع بالبركة فوقع في الفراش أربعين يوماً مريضاً .

وهذا هو الصَّواب قطعاً »[1].

□ □ □ □ □

---

(1) « زاد المعاد » (٤/١٦٧-١٦٨) .

١٦ - من ابتلي بالحسد ماذا عليه أن يفعل

« وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرَّها بقوله : « اللهمَّ بارك عليه »، كما قال النَّبيُّ ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « ألا برَّكت »[١] أي قلت : اللهمّ بارك عليه .

وممّا يدفع به إصابة العين قول : ما شاء اللَّه لا قوَّة إلاّ باللَّه .

روى هشام بن عروة عن أبيه أنَّهُ كان إذا رأى شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه قال : ما شاء اللَّه لا قوَّة إلاّ باللَّه[٢] .

وعليه أي : العائن أو الحاسد أن يدعو برقية جبريل لرسول اللَّه ﷺ : « باسم اللَّه أرقيك من كلّ شيءٍ يُؤذيك

(١) تقدَّم تخريجه غيرَ مرّة .
(٢) « زاد المعاد » (١٧٠/٤) .

من شرِّ كلِّ نفسٌ أو عين حاسدٍ اللَّه يشفيك باسم اللَّه أرقيك »[1] .

وعليه أن يرقى أخاه بما كان يرقى النَّبيّ ﷺ الحسن والحسين : « أُعيذكما بكلمات اللَّه التَّامَّة من كلِّ شيطانٍ وهامَّة ومن كلِّ عينٍ لامَّة »[2] ، ويقول : هكذا كان أبي إبراهيم يُعَوِّذُ إسماعيل وإسحلق » .

« ومنها أن يؤمر العائن بغسل مغابنه وأطرافه وداخلة إزاره وفيه قولان :

أحدهما : أنَّهُ فرجه .

والثَّاني : أنَّه طرف إزاره الدَّاخل الذي يلي جسده من الجانب الأيمن .

ثمَّ يصبُّ على رأس المعين من خلفه بغتة، وهذا ممَّا لا يناله علاج الأطباء، ولا ينتفع به من أنكره، أو سخر منه، أو شكَّ فيه، أو فعله مجرِّباً لا يعتقد أن ذلك ينفعه .... هذا مع أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه »، وأحمد في « مسنده »، والترمذي في « جامعه » وقال حسن صحيح، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » .

في المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصَّحيحة، وتقرّ لمناسبته، فاعلم أنَّ ترياق سمِّ الحيَّة في لحمها، وأنَّ علاج تأثير النَّفس الغضبيَّة في تسكين غضبها وإطفاء ناره بوضع يدك عليه، والمسح عليه، وتسكين غضبه وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار، وقد أرادَ أن يقذفك بها فصببت عليها الماء وهي في يده حتى طفئت، ولذلك أمر العائن أن يقول : « اللهمَّ بارك عليه » ليدفع تلك الكيفيَّة الخبيثة بالدُّعاء الذي هو إحسان إلى المعين فإنَّ دواء الشيء بضدِّه، ولما كانت هذه الكيفيَّة الخبيثة تظهر في المواضع الرَّقيقة من الجسد لأنَّها تطلب النُّفوذ، فلا تجد أرقَّ من المغابن وداخلة الإزار، ولا سيَّما إن كان كناية عن الفرج، فإذا غسلت بالماء بطل تأثيرها وعملها، وأيضاً فهذه المواضع للأرواح الشيطانيَّة بها اختصاص » .

والمقصود : أنَّ غسلها بالماء يطفىء تلك النَّاريَّة، ويذهب بتلك السميَّة، وفيه أمر آخر، وهو وصول أثر الغسل إلى القلب من أرقِّ المواضع وأسرعها تنفيذاً، فيطفيء تلك النَّاريَّة والسميَّة بالماء، فيشفى المعين، وهذا كما أنَّ ذوات السّموم إذا قتلت بعد لسعها، خفَّ أثر اللسعة عن الملسوع، ووجد راحة، فإنَّ أنفسها

تمد أذاها بعد لسعها، وتوصله إلى الملسوع، فإذا قتلت خفَّ الألم، وهذا مشاهد، وإن كان من أسبابه فرحُ الملسوع، وأشتفاء نفسه بقتل عدوِّه، فتقوى الطَّبيعة على الألم، فتدفعه وبالجملة : غسل العائن يذهب تلك الكيفيَّة التي ظهرت منه وإنَّما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفيَّة .

فإن قيل : فقد ظهرت مناسبة الغسل، فما مناسبة صبِّ ذلك الماء على المعين ؟

قيل : هو في غاية المناسبة، فإنَّ ذلك الماء طفيء به تلك النَّاريَّة، وأبطل تلك الكيفيَّة، الرَّديئة من الفاعل، فكما طفئت به النَّاريَّة القائمة بالفاعل طفئت به، وأبطلتَ عن المحل المتأثر بعد ملابسته للمؤثر العائن، والماء الذي يطفأ به الحديد[1] يدخل في أدوية عدَّة طبيعيَّة ذكرها الأطبَّاء، فهذا الذي به ناريَّة العائن لا يستنكر أن يدخل في دواء يناسب هذا الدَّاء[2].

---

(١) قلت : وهو نافع للباه كما يذكر في بعض كتب الطب القديم .

(٢) ومثله أن يبول المعين على قضيب محمى بالنَّار حتى يحمرَّ فإنَّهُ نافع جدّاً للإصابة بالعين وقد عالجت به عشرات فشفوا بإذن اللّه تعالى وسرد قصصهم يطول وفي ذلك سرٌّ عجيب لا يعلمه إلاّ اللّه !!

وبالجملة : فطبّ الطبائعيّة، وعلاجهم بالنِّسبة إلى العلاج االنَّبويّ كطب الطقيَّة بالنِّسبة إلى طبِّهم، بل أقل، فإنَّ التَّفاوت الذي بينهم وبين الأنبياء أعظم، وأعظم من التَّفاوت الذي بينهم وبين الطرقيَّة، بما لا يدرك الإنسان مقداره، فقد ظهر لك عقد الاخاء الذي بين الحكمة والشرع، وعدم مناقضة أحدهما للآخر، واللَّه يهدي من يشاء إلى الصَّواب، ويفتح لمن أدام قرع باب التَّوفيق منه كل باب، وله النِّعمة السَّابغة، والحجَّة البالغة »[1].

□ □ □ □ □

---

(١) « الطب النّبوي » (٤/١٧٠-١٧١) لابن قيّم الجوزيّة .

١٧ - علاج الإصابة بالعين بالرُّقى النَّبويَّة وغيرها

إذا أُصيب الرَّجل بالعين وعرف العائن فقد وجد العلاج الشافي فما عليه إلاّ أن يأخذ من غسالة العائن كما تقدَّم في حديث سهل بن حنيف، ولا يحلّ للعائن أن يمتنع عن ذلك لأَنَّهُ هو الذي تسبَّبَ في إصابته وعليه أن يسعى لدفع الأذى عنه من باب ﴿ وَتَعاوَنوا على البِرِّ والتَّقوى ولا تَعاوَنوا على الإثمِ والعُدوان ﴾ [المائدة: ٢]، فكيف إذا كان علاجه عنده وبخل بذلك ؟ لا شكَّ أَنَّهُ يأثم لأَنَّهُ خالفَ أمر النَّبيّ ﷺ بقوله: « وإذا استغسلتم فاغسلوا ».

قال النَّووي رحمه اللَّه:

« وصف وضوء العين عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء، ولا يوضع القدح على الأرض، فيأخذ العائن غرفة فيتمضمض، ثمَّ يمجها في القدح، ثمَّ يأخذ منه ماء يغسل وجهه، ثمَّ يأخذ بشماله ماء يغسل به كفَّه الأيمن ثمَّ بيمينه ماء يغسل به مرفقه

الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين، ثمَّ يغسل قدمه اليمنى، ثمَّ قدمه اليسرى على الصّفة المتقدِّمة، وكل ذلك في القدح، ثمَّ داخلة إزاره، وهو الطَّرف المتدلِّي، الذي يلي حقوه الأيمن، فإذا استكمل هذا صبَّه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه، وليس في قوَّة العقل الطلاع على أسرار جميع المعلومات، فلا يدفع هذا بأن لا يعقل معناه .

قال : وقد اختلف العلماء في العائن؛ هل يجبر على الوضوء للمعين أم لا ؟ واحتجَّ من أوجبه بقوله ﷺ في رواية مسلم هذه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » .

وبرواية « الموطَّأ » التي ذكرناها أنَّهُ ﷺ أمر بالوضوء، والأمر للوجوب .

قال المازري : والصَّحيح عندي الوجوب، ويبعد الخلاف فيه إذا خشي على المعين الهلاك، وكان وضوء العائن مما جرت العادة بالبرء به أو كان الشرع أخبر به خبراً عامّاً، ولم يكن زوال الهلاك إلاّ بوضوء العائن، فإنَّهُ يصير من باب من تعيَّن عليه إحياء نفس مشرفة على الهلاك، وقد تقرَّر أنَّهُ يجبر على بذل

الطَّعام للمضطر فهذا أَوْلى، وبهذا التَّقرير يرتفع الخلاف فيه، هذا آخر كلام المازري »[1].

□ □ □ □ □

(١) « مسلم بشرح النّووي » (١٧٢/٧) .

١٨ - من أسباب دفع شر الحاسد عن المحسود

قد ذكر الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه اللَّه عشرة أسباب لدفع شرِّ الحاسد عن المحسود وهو رحمه اللَّه أفضل من كتب في ذلك - فيما أعلم - وها أنذا أذكرها على سبيل الاختصار وأترك تفاصيلها للمصدر الذي عزوتها إليه، فقال يرحمه اللَّه :

« ويندفع شرّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب :

أحدها : التَّعوُّذ باللَّه من شرّه، والتَّحصُّن به واللجأ إليه .

الثَّاني : تقوى اللَّه وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتَّقى اللَّه تولَّى اللَّه حفظه ولم يكله إلى غيره .

الثَّالث : الصَّبر على عدوّه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدِّث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر على حاسده وعدوّه بمثل الصَّبر عليه، والتَّوكُّل على اللَّه، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنَّهُ كلَّما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوّة للمبغي عليه (المحسود)

يقاتل به الباغي نفسه - وهو لا يشعر - فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسرّه بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلاّ صورة البغي دون آخره ومآله وقد قال تعالى : ﴿ ومَن عاقَبَ بِمِثلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغيَ عَليهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّه ﴾ [الحج: ٦٠] .

الرَّابع : التَّوكُّل على اللَّه، فمن توكَّل على اللَّه فهو حسبه، والتَّوكُّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ... ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوِّه، ولا يضرُّه إلاّ أذى لا بدَّ منه كالحرِّ، والبرد، والجوع، والعطش، وإمَّا أن يضرُّه بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً .

الخامس : فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه ... فلا يلتفت إليه ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرِّه .

السَّادس : الإقبال على اللَّه والإخلاص له، وجعل محبَّته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه، وأمانيّها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرها ويغمرها بالكليَّة .

السَّابع : تجريد التَّوبة إلى اللَّه من الذُّنوب التي سلطت عيه أعداءَه فإن اللَّه تعالى يقول : ﴿ وَما أصابَكُم مِن مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَت أيديكُم ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال لخير الخلق، وهم أصحاب نبيِّه ﷺ : ﴿ أَوَلَمَّا أصابَتكُم مُصيبَةٌ قَد أَصَبتُم مثلَيها قُلتُم أنَّى هذا قُل هوَ مِن عندِ أنفسكُم ﴾ [آل عمران: ١٦٥] .

الثَّامن : الصَّدقة والإحسان ما أمكنه، فإنَّ لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلاَّ بتجاوب الأُمم قديماً وحديثاً لكفى به فما تكادُ العين والحسد والأذى يتسلَّط على محسن متصدِّق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتَّأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، فالمحسن المتصدِّق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه .

التَّاسع : إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذىً وشرّاً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة ... فاسمع الآن قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ولا تَستَوي الحسنة ولا السيِّئة ادْفَع بالتي هيَ أحسَن فإذا الذي

بَينَكَ وبَينَهُ عداوَةٌ كأنَّهُ وليٌّ حميم وما يُلقَّاها إلاّ الَّذينَ صبَروا وما يُلقَّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦] .

العاشر : وهو الجامع لذلك كلِّه وعليه مدار هذه الأسباب : وهو تجريد التَّوحيد ... فإذا جرَّد العبد التَّوحيد فقد خرجَ من قلبه خوف ما سواه وكان عدوّه أهون عليه من أن يخافه مع اللَّه بل يفرد اللَّه بالمخافة وقد أمنه منه ... فالتَّوحيد حصن اللَّه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين قال بعض السَّلف : « من خاف اللَّه خافه كلّ شيء، ومن لم يخف اللَّه أخافه من كلّ شيء »، فمن خاف شيئاً غير اللَّه سُلِّط عليه، هذه سنَّة اللَّه في خلقه ولن تجد لسنَّة اللَّهَ تبديلاً »[1].

□ □ □ □ □

(١) « التفسير القيِّم » (ص: ٥٨٥-٥٩٤) بشيء من التصرف والاختصار .

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها

هذا ما تيسَّر لي جمعه في هذه الرِّسالة المباركة التي تعالج هذا الوباء الخطير والدَّاء المستطير فإن أصبت فمن اللَّه وحدَهُ والحمدُ للَّه الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وإن كانت الأُخرى فمنِّي ومن الشيطان وما أبرِّئُ نفسي من الخطأ والزَّلل ورحم اللَّه رجلًا أبصر في أخيه عيباً أو اعوجاجاً فهداه برفق ولين وبالتي هي أحسن للتي هي أقوم فهذا واجب الأُخوَّة الإسلاميَّة .

اللهمَّ تقبَّل أعمالنا واجعلها خالصة لوجهك الكريم ولا تجعل لأحد فيها شيئاً أنت وليُّ ذلك والقادر عليه وصلَّى اللَّهُ على عبدِه ورسوله محمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم .

□ □ □ □ □

فهرس المراجع والمصادر حسب ورودها

١ – القرآن الكريم، مصحف المدينة المنوَّرة؛ مجمع الملك فهد .
٢ – « القاموس المحيط »، الفيروزآبادي؛ مؤسسة الرِّسالة .
٣ – « المفردات في غريب القرآن »، الرَّاغب الأصفهاني؛ أصحّ المطابع / كراتشي .
٤ – « الصَّحيح للإمام مسلم »، مسلم بن الحجَّاج القشيري؛ دار الآفاق الجديدة / بيروت .
٥ – « المنسد »، أحمد بن حنبل الشيباني؛ المكتب الإسلامي .
٦ – « مسند أبي يعلى »، أبي يعلى الموصلي؛ مؤسسة الرِّسالة .
٧ – « صحيح الجامع »، محمَّد ناصرالدِّين الألباني؛ المكتب الإسلامي / بيروت .
٨ – « الكامل »، لابن عدي الجرجاني .
٩ – « حلية الأولياء »، أبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبدالله؛ دار الكتب العربي / بيروت .
١٠ – « السلسلة الصَّحيحة »، محمَّد ناصرالدِّين الألباني؛ المكتب الإسلامي / بيروت .

١١ – « الجامع الصَّحيح »، محمَّد بن إسماعيل البخاري؛ المكتبة الإسلاميَّة / تركيا .
١٢ – « السُّنن »، لأبي داود السجستاني؛ دار إحياء السُّنَّة النَّبويَّة .
١٣ – « السُّنن »، لأبي شعيب النسائي؛ دار الكتاب العربي / بيروت.
١٤ – « السُّنن »، ابن ماجه القزويني؛ المكتبة العلميَّة / بيروت .
١٥ – « صحيح الكلم الطيِّب »، محمَّد ناصرالدِّين الألباني؛ المكتب الإسلامي / بيروت .
١٦ – « مشكاة المصابيح » (بتحقيق الألباني)، الخطيب التبريزي؛ المكتب الإسلامي / بيروت .
١٧ – « مختصر صحيح مسلم » (بتحقيق الألباني)، المنذري؛ المكتب الإسلامي / بيروت .
١٨ – « جامع الترمذي »، عيسى بن سورة الترمذي؛ مطبعة مصطفى الحلبي .
١٩ – « الضياء المختارة »، المقدسي؛ مخطوط .
٢٠ – « قواعد وفوائد من الأربعين النَّووية »، ناظم سلطان؛ الدَّار السَّلفيَّة .
٢١ – « تهذيب موعظة المؤمنين »، جمال الدِّين القاسمي؛ دار ابن القيم.
٢٢ – « جامع العلوم والحكم »، ابن رجب الحنبلي؛ دار

المعرفة / بيروت .

٢٣ - « الجامع لأحكام القرآن »، القرطبي؛ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

٢٤ - « تربية الإسلام وادِّعاءات التَّحرُّر »، عبدالرَّحمن الدُّوسري .

٢٥ - « التفسير القيِّم »، ابن قيِّم الجوزيَّة؛ دار الكتب العلميَّة / بيروت .

٢٦ - « مختصر تفسير ابن كثير » (نسيب الرفاعي)، إسماعيل بن كثير؛ دار لبنان للطباعة والنشر .

٢٧ - « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب »، محمَّد ناصرالدِّين الألباني؛ المكتب الإسلامي .

٢٨ - « شرح السُّنَّة » (تحقيق : شعيب وعبدالقادر أرناؤوط)، أبي الحسين البغوي؛ المكتب الإسلامي .

٢٩ - « زاد المعاد »، ابن قيِّم الجوزيَّة؛ مؤسَّسة الرِّسالة .

٣٠ - « الطِّب النَّبوي »، ابن قيِّم الجوزيَّة؛ مؤسَّسة الرِّسالة .

٣١ - « مسلم بشرح النَّووي »، أبي زكريَّا محي الدِّين النَّووي؛ دار الفكر / بيروت .




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المضامين

□ □ □ □ □


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



داء الأمم

ذم الحسد والحاسدين

بقلم
محمد موسى نصر

دار الصديق للنشر والتوزيع